المحاضرة :**أفق الانتظار** (L'horizon d'attente):

يعتبر مفهوم "أفق الانتظار"* إستراتيجية تقوم عليها جمالية التلقي التي تعيد الاعتبار للقارئ أو المتلقي سواء أكان ذلك من خلال تصور جديد للتاريخ الأدبي، بحيث يدمج المتلقي في الدائرة التي كانت لا تتسع إلا للعمل والكاتب، وبهذا ترفع القارئ إلى رتبة وسيط بين الحاضر والماضي، بين العمل وفعله، أم من خلال اتخاذ تجربة القارئ مَعْبَراً لفهم وتأويل الأعمال الماضية.

وينطلق ياوس في تحديده لهذا المفهوم من نقطة مفادها أن النص الأدبي لا ينبثق من فراغ، ولا يؤول إلى فراغ، إذ« حتى في لحظة صدوره لا يكون ذا جدة مطلقة تظهر فجأة في فضاء... فبواسطة مجموعة من القرائن والإشارات المعلنة أو المضمرة، ومن الإحالات الضمنية والخاصيات التي أصبحت مألوفة، يكون جمهوره مهيّأ سلفاً لتلقيه على نحو معيّن. فكل عمل يذكّر القارئ بأعمال أخرى سبق له أن قرأها، ويكيّف استجابته العاطفية له، ويخلق منذ بدايته توقعاً ما لتتمة الحكاية ووسطها ونهايتها »[1]. ويرى في قصة "برسڤال" (Perceval) لمؤلفها (Chrétien de Troyes) أنها لا تصبح حدثاً أدبياً إلا بالنسبة لمتلقيها الذي يقرأها بتذكر نصوص "كريتيان" السابقة، والذي يدرك خصوصيتها بمقارنتها مع هذه النصوص ومع نصوص أخرى سبق له أن قرأها.

نفهم من هنا أن أفق الانتظار* هو النسق المرجعي الذي يحيط بالعمل الأدبي لحظة ظهوره إلى الوجود، أي نسق المعايير والقيم المتزامنة مع ظهور العمل الأدبي والتي تشكل التجربة الأدبية والتاريخية المتعلقة بالحياة ككل لدى قرائه الأولين. وهكذا، فتجربة التلقي لا

تتحقق إلا من خلال هذا الحوار المتبادل بين النص والمتلقي، بين الأسئلة التي يثيرها المتلقي والأجوبة التي يقدمها النص في أفق تاريخي محدد. ومن هذا المنطلق حاول ياوس أن يتجاوز الأزمة المنهجية التي فجرتها الدراسات الماركسية والشكلانية، وسعى لتجاوز الهوة بين التاريخ والأدب[2].

وإن إعادة تشكيل أفق انتظار الجمهور الأول . بغرض وصف تلقي العمل والأثر الذي يُحدثه . « كفيلة بتخليص التجربة الأدبية للقارئ من النزعة النفسانية التي تهدده ونقصد بأفق التوقع نسق الإحالات القابل للتحديد الموضوعي، الذي ينتج، وبالنسبة لأي عمل في اللحظة التاريخية التي ظهر فيها، عن ثلاثة عوامل أساسية: تمرس الجمهور السابق بالجنس الأدبي الذي ينتمي إليه هذا العمل، ثم أشكال وموضوعات أعمال ماضية تفترض في العمل، وأخيراً التعارض بين اللغة الشعرية واللغة العملية بين العالم الخيالي والعالم اليومي »[3]. فرواية "دون كيشوط"* تستثير في قرائها جميع التوقعات المتعلقة بخصوصية روايات الفروسية التي كانت تعجب الجمهور والتي ستحاكيها بسخرية وبمنتهى العمق مغامرات آخر الفرسان.

هكذا يتأسس مفهوم أفق الانتظار* في فضاء تتقاطع داخله عناصر نصية بحتة، وأخرى خارج نصية ترتبط بالقارئ. وما بين تنظيمات خطابية (استراتيجيات) يحملها النص معه ويقيّد بها القراءة أو على الأقل يقترح بواسطتها صيغة معيّنة للقراءة، ويبني حياة من خلالها دلالته، وبين نشاط القارئ وإسهامه في إنتاج المعنى.

وقد اهتم ياوس كثيراً بضرورة البحث عن السؤال الذي كان النص، في زمنه الحقيقي، يمثل إجابة عنه. كما بحث فيما يمكن أن يقدّمه النص من إجابات مخالفة عن أسئلة جمهور العصور الموالية حتى العصر الحالي،« ويجب أن يتضمن تأويل النص الأدبي باعتباره جواباً، شيئين اثنين: إجابته من جهة على انتظارات شكلية كانت مقررة من قبل التقليد الأدبي السابق على وجود النص، وإجابته من جهة أخرى على أسئلة المعنى مثل تلك التي يمكن أن يضعها القراء الأوائل في نطاق عالمهم الخاص المعيش تاريخياً. ولن تكون إعادة بناء أفق الانتظار الأول إلا عودة إلى النزعة التاريخية إذا لم ينتقل التأويل التاريخي بدوره من طرح السؤال: ما الذي كان قد قاله النص في السابق؟ إلى السؤال: ماذا يقول لي النص ؟ وما الذي أقوله أنا بصدد النص ؟»[4]. ونتبيّن إذن أن نظرة ياوس إلى الأدب قائمة على أذواق المتلقين وعلى ردود أفعالهم التي يتحكم فيها أفق الانتظار بشقيه:

. **أفق الانتظار الأدبي:** وهو أفق انتظار العمل الذي يحيل على بنية القراءة داخل النص.

. **أفق الانتظار الاجتماعي:** الذي يمس الاستعداد الذهني أو السنن الجمالي للقراء، ويحدد شروط التلقي، وبالتالي يشكل الشبكة التي على مؤرخ القراءة أن يحاول بناءها انطلاقاً من عناصر ثقافية حية.

وهكذا، فإذا أردنا أن نصف الكيفية التي تم تلقي العمل الأدبي بها، والتأثير الذي مارسه هذا العمل على جمهوره الأول، ومجموع الأجيال اللاحقة، ينبغي إعادة بناء وأفق الانتظار الخاص بكل جمهور، وبالتالي فالقول إن تاريخ الأدب هو سيرورة من التلقي، يعني لدى ياوس أن الأعمال الأدبية ليست جواهر أو حقائق متعالية على الزمن، بحيث تمنح

المظهر نفسه لكل المتلقين وفي كل العصور، بل إنها تتمظهر وتتجلى من خلال سلسلة التلقيات المتتالية التي تعرفها عبر التاريخ.

وبفضل هذا المفهوم يمكننا إذن« أن نفهم التجربة الجمالية والتاريخية التي تحكم الفهم والتلقي، ونستوعب طبيعة العلاقة التي تقيمها مختلف الأعمال الأدبية مع آفاق الانتظار المستقرة، بحيث تكون مجرد إعادة إنتاج لها أو تعدّلها أو تنحو إلى خلق آفاق انتظار أخرى جديدة تماماً. وبالفعل نفسه نمسك بتاريخية الأدب باعتبارها تطوراً مستمراً، أو مراوحة في الإنتاج والتلقي على حد سواء »[5].